

أولاً: المقدمة : مداخلسة فى المستقبلية :

المستقبل هو الزمان الحقيقى الذى نستطيع فيه أن نملك حريتنا ، ومن ثم .. فهو وعاء الإرادة التى نقدر بها على أن نصنع تاريخاً ، فالحرية والإرادة هما وحدة الإنشاء التاريخى .. وبالتالي فهما وحدة التمثيل المستقبلى ، فالمستقبل ليس مقولة مجردة فى فراغ المسطح .. ولكنه مقولة تاريخية فى متصل الصيرورة ، وبأبجدية المصطلح .. فليس هناك مستقبل .. ولكن هنا مستقبل تاريخ .

وفى محاوره مستقبل التاريخ .. تأتى المستقبلية كطريقة فى التفكير نحاول أن تستكشف الممكن فى الزمان القادم .. وعياً بمستجدات فاعلة بإمكاناتها المدخرة وتضميناتها الحية .. ولكنه وحده لا يكفى ، فهناك وعى آخر ينبغى أن تحتزنه المستقبلية وهو الوعى بروح عصر المستقبل .. وإلا فإن رؤاها الاستكشافية وسيناريوهات الاستشرافية تبقى معلقة فى زمان بلا مستقبل .. تماماً مثل بعض أحداث الماضى التى إنسجبت إلى زمان بلا تاريخ .

فإذا قبلنا بأن المستقبل هو تاريخ ، فإن علينا أن نقرأ المستقبل .. كما نقرأ التاريخ ، وفى قراءة التاريخ .. فمن المهم أن نعرف : ماذا حدث ولماذا حدث وكيف حدث ؟ ، ولكن من المهم أيضاً أن نعرف .. هل جاء الحدث تعبيراً عن روح عصره ، فإذا جاءت الإجابة «نعم» .. فهو تاريخ ، وإذا جاءت الإجابة «لا» .. فهو ماضى ، وكذلك بالنسبة للمستقبل .. فكل إستقراءاتنا بصدده ينبغى أن يواكبها سؤال الظل : هل هى إستقراءات تعبر عن روح عصر المستقبل أم لا ؟ .

روح عصر المستقبل تجد تعبيرها فى الليبرالية .. وهو ليس إنحياز مرسل بإستهواء ذاتى .. وليس إسقاط فرضى بإنفراد تحكمى ، ولكنه تداعى المنطق .. فإذا كان المستقبل هو تاريخ ، فإن أهم الأسئلة التى تطرح نفسها : لقد عرف التاريخ الأزمة .. فهل ستنتفى فى مستقبله ؟ ، والليبرالية هى الوحيدة التى تجيب بـ «لا» ، وإجاباتها ليست رفضاً لواقع يسوق محاذير .. أو تحفظاً على مستجدات تثير مخاوف ، ولكن إتساقاً مع نفسها .. فالوعى الليبرالى يقبل بالأزمة كظاهرة بنوية فى التاريخ وبالتالى فى مستقبله ، ومن ثم .. فإن الليبرالية هى التى تبدو أكثر قدرة على التعبير عن روح عصر المستقبل والذى سوف يسوده اللائقين كقانون حركة ، فالإنسان فى مستقبل التاريخ لن يخلق المعرفة فقط ولكنه سوف يخلق معها ويتلازم الإطراد المجهول أيضاً .

إننى هنا لا أتحديث عن إنتصار نهائى لليبرالية فى التاريخ .. إنتصار تمسك به بنهايته ، فالليبرالية لا تقبل بغايات نهائية ولكنها تقبل بشئ آخر وهو أن الغاية فى التاريخ هو البقاء فى التاريخ ، وهذا بالتحديد ما أرادت - ابتداءً - أن تبرهن عليه محاوره الليبرالية الإجتماعية ، فالبقاء فى التاريخ كغاية فى حد ذاتها .. ينبغى أن يستعيد لليبرالية ذاكرتها الإجتماعية .. ذاكرة تستيقظ عند الجذور وتتصل بالنشأة

الأولى .. حيث الليبرالية هي همزة الوصل بين الذات الحرة والموضوع الحر .. بين الفرد والإمكان الاجتماعي .. بين المجتمع المدني والدولة .

ولقد بدا لي .. أن الأطروحات الحديثة التي تتناول الليبرالية حاولت وتحاول تدمير ذاكرتها الاجتماعية ، فلقد كانت تبحث عن ليبرالية أيديولوجية أو ليبرالية برجماتية أو ليبرالية داروينية أو ليبرالية فردية ، وبمعنى آخر .. فلقد كانت أطروحات تبحث عن إعلان موت الليبرالية .. ليتحرر المستقبل من التاريخ ، ولكن ومحاورة الليبرالية الاجتماعية تبحث عن إعلان عودة الليبرالية .. وعودة المستقبل إلى التاريخ .

عندما يعود المستقبل إلى التاريخ .. فإن المستقبلية لا تعود دعوة للإغتراب عن الحاضر ، لأنها تستعيد - عندئذ - للأشياء معانيها ، فهي تعطى للحرية في المستقبل معنى تاريخي .. وتعطى للإرادة في المستقبل معنى تاريخي .. وتعطى للمجتمع المدني في المستقبل معنى تاريخي .. وتعطى للدولة في المستقبل معنى تاريخي ، وتعطى للإنسان في المستقبل معنى تاريخي .. فهي لن تستلبه في صورته الأولى لاهثاً وراء رغباته خارج التاريخ وفي فضاء الطبيعة .. ولكنها تستبقه إنساناً حراً .. قادراً على تنمية إمكاناته ومشبعاً بروح المسؤولية إزاء نفسه وإزاء الآخرين .

كل هذه المعاني وغيرها حاولت محاورة الليبرالية الاجتماعية أن تقاربها بالتشخيص على إمتداد خمس محاور .. وأن تتعمقها بالتفاعل عبر فقرات مطولة تفرعت إليها المحاورة ، وفي أحسن الأحوال فإن المحاورة تدعى لنفسها أنها كشف عن ممكن في مستقبل التاريخ .. لا أكثر ولا أقل ، ولكنها في كل الأحوال تترك نفسها كرؤية في مداولة نقاش .